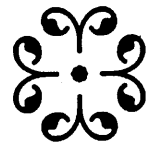

أيـوب
عليه السلام

قال ابن إسحاق: كان «أيوب»

رجلاً من الروم

وهو أيوب بن موص بن زارح بن العِيص

ابن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقال غيره: هو أيوب بن موص

ابن رعويل بن العيص بن إسحاق بن يعقوب.

obeikandl.com

وقيل غير ذلك فى نسبه. وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط ـ عليه السلام ـ وقيل كان أبوه ممن آمن بإبراهيم ـ عليه السلام ـ يوم أُلقى فى النار فلم تحرقه، والمشهور الأول، لأنه من ذرية إبراهيم، يقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوب** ﴾[1].

فالصحيح أنه من سلالة العيص بن إسحاق، وامرأته قيل اسمها لَيَّا بنت يعقوب، وقيل: رَحْمَةُ بنت أفرائيم، وقيل منشا بن يوسف ابن يعقوب.

يقول الله عز وجل: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴾[2].

قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، من الأنعام، والعبيد، والمواشى، والأراضى المتسعة بأرض الْبَثَنِيَّة من أرض حوران[3].

وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له، وكان له أولادٌ وأهلون

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) الأنبياء: ٨٣، ٨٤.

(٣) من أعمال دمشق. وقيل: البثنية: قرية بين دمشق وأذْرِعَات.

كثيرٌ، فَسُلِبَ من ذلك جميعه، وَابْتُلِيَ فى جَسَدِهِ بأنواعِ البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل بهما، وهو فى ذلك كله صابر محتسب، ذَاكر لله عز وجل فى ليله ونهاره، وصباحه ومسائه. وطال مرضه حتى عَافَهُ الجليسُ، وأُوحِشَ منه الأنيس، وأُخْرِجَ من بلده، وأُلْقِيَ على مَزْبَلَةٍ خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه، فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته، وتقوم بمصلحته. وضعف حاله، وقَلَّ مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده ـ رضى الله عنها وأرضاها ـ وهى صابرة معه على ما حَلَّ بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج، وضيق ذات اليد، وخدمة الناس، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياءُ، ثم الصالحون، ثم الأمثلُ فالأمثل، يُبْتَلَى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان فى دينه صلابة زيدَ فى بلائه**». وقد ابْتُلِيَ «أيوبُ» بأشد أنواع البلاء، فلم يزده هذا كله إلا صبرًا واحتسابًا، وحمدًا وشكرًا لله، حتى إن المثل لَيُضْرَبُ بصبره ـ عليه السلام ـ وبما حصل له من أنواع البلايا.

وقد رُوِيَ عن وهب بن منبه وغيره من علماء بنى إسرائيل، فى قصة أيوب خبر طويل فى كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه فى جسده. والله أعلم بصحته.

وعن مجاهد أنه قال: كان أيوب ـ عليه السلام ـ أول من أصابه الجدرى، وقد اختلفوا فى مدة بلواه على أقوال، فزعم وَهْبٌ أنه ابتلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص، وقال أنس: ابتلى سبع سنين وأشهرًا، وألقىَ على مَزْبَلَة لبنى إسرائيل تختلف الدواب[1] فى جسده حتى فَرَّجَ الله عنه، وعَظَّمَ له الأجر، وأَحْسَنَ الثناء عليه.

وقال حميد: مكث فى بلواه ثمانى عشرة سنة. وقال السدى: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طال عليها قالت: «يا أيوب، لو دَعَوْتَ ربك لَفَرَّجَ عنك». فقال: «قد عشت سبعين سنة صحيحًا، فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة». فجزعت من هذا الكلام. وكانت تخدم الناس بالأجر، وتُطعم أيوب ـ عليه السلام.

ثم إنَّ الناسَ بَدَءُوا ينفرون منها، ويَشْمَئِزُّون من خدمتها، لِعِلْمِهِمْ أنها تقوم على خدمة أيوبَ المُبْتَلَى، وعلى غَسْلِ جُرُوحه، وتضميد قروحه، فأظهروا لها الامتعاضَ مِنْ خدمتها لهم، فلما لم تجد أحدًا

(١) قيل: إن الخراريج ملأت جسده وازدادت تَقَيُّحًا، وكثرت الثآليل وكانت تتفجر عن أخبث مادة، وأكره رائحة.

يستخدمها عَمَدَتْ فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب فقال: من أين لَكِ هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناسًا، فلما كان الغد لم تجد أحدًا، فباعت الضفيرة الأخرى بطعامٍ، فأتته به، فأنكره أيضًا، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقًا دعا رَبَّه قائلا: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[1].

فاستحاب الله ـ عز وجل ـ لدعائه ورفع ما به من ضر.

قال ابن عباس: رَدَّ الله عليه ماله وولده بأعيانهم، ومثلهم معهم. وقال وهب بن منبه: أوحى الله إليه: قد رَدَدْتُ عليكَ أَهْلَكَ ومالك ومثلهم معهم، فَاغْتَسِلْ بهذا الماء، فإن فيه شِفَاءَكَ.

وعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: «**لما عَافَى الله أيوب عليه السلام أَمْطَرَ عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذ بيده ويجعل فى ثوبه، قال: فقيل له: يا أيوب، أمَا تشبع؟ قال: يارب، ومَنْ يشبع من رحمتك؟؟**» وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبى داود الطيالسى، ورواه ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدى ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب، وهو على شرط الصحيح، فالله أعلم به.

(٢) الأنبياء: ٨٣.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما أيوبُ يغتسل عريانًا خَرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عَمَّا ترى؟ قال: بَلَىَ يارب، ولكن لا غنَى لى عن بركتك**».

وحين نزل وَحْىُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ على أيوب: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾(١).

فامتثَل ما أُمِرَ به، وَضَرَبَ الأرضَ بِرِجْله الضعيفة ـ كما أمره الله ـ فانفجرت عَيْنٌ مِنْ ماء عَذْبٍ زُلال بارد، فاغتسَلَ أيوبُ منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى والسقم والمرض الذى كان فى جسده ظاهرًا وباطنًا، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالا تَامًّا، ومالا كثيرًا، حتى صبَّ له من المال صبًّا، مطرًا عظيمًا، جرادًا من ذهب، وأخلف الله له أهله، كما قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا**﴾(٢)، فقيل: أحياهم الله بأعيانهم، وقيل: آجره فيمن سَلَفَ، وعَوَّضَهُ عنهم فى الدنيا بدلهم، وجمع له شمله بكُلِّهِمْ فى الدار الآخرة. وقوله: ﴿**رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا**﴾ أى: رفعنا عنه شدته ﴿**فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ**﴾ رحمةً مِنَّا

(١) ص: ٤٢.

(٢) الأنبياء: ٨٤.

ورأفةً وإحسانًا، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ أى: تذكرة لمن ابتلى فى جسده أو ماله أو ولده، فله أُسوة بِنَبِىِّ الله أيوب، حيث ابتلاه بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه[1].

وكَانَتْ هذه إحدى مُعجزاتِ الله القادر على كل شئٍ، والذى يقول للشىء كُنْ فيكون!.

* * *

(١) البداية والنهاية (١/٢٥٣).

obeikandl.com

obeikandl.com